السنة: الثامنة المجلد: 08 العدد: 02 صص: 783- 797
ISSN 2543-375X EISSN2676-1645

قيم المودة والرحمة في البنية الزواجية للاسرة المسلمة
مقاربة سوسيو- دينية

The values of affection and mercy in the marital structure of the Muslim family
Socio-religious approach

يسمينة برعودي، جامعة باتنة1
yberaoudi@gmail.com
اليمين بن منصور*، المركز الجامعي بريكة
Lyamine.benmansour@cu-barika.dz

تاريخ الاستلام:2023/06/04 تاريخ القبول: 2023/06/21

ملخص:

تطرق هذا المقال الوصفي مهتديا بمقاربة نظرية في التبادل الاجتماعي لشريحة مجتمعية بالغة الأهمية وهي شريحة الأزواج، وتمت معالجة قيم المودة والرحمة التي تحكم البنية الزواجية للأسرة المسلمة، المستمدة من الدين -بما يحمله من قيم- باعتباره متدخل مباشر في توجيه الحياة الزوجية للأسرة المسلمة؛ لما يحدده من مواصفات الحياة الزوجية السعيدة، والجيدة والمتجانسة والصحية وغيرها من المفاهيم التي تعبر عن الحياة الزوجية الصحيحة. التي يُلجأ ويصبوا إليها حالَ البحث عن شريك الحياة. وإلى الأهمية التي يوليها كلا الزوجين لعلاقتهما الزوجية، وبالأحرى القيم التي يؤمنان بها حيال علاقتهما الزوجية. وتوصل المقال إلى أن أساس الزواج الإسلامي ليسا طرفا العلاقة الزوجية وهما الزوج والزوجة وإنما مضمون العلاقة الزوجية، وبالتالي استمرار العلاقة الزوجية مرهون باستمرار المضمون القيمي لدى الزوجين عن العلاقة الزوجية التي تربطهما

* المؤلف المراسل

وليس بهما شخصيا. وفي ذات السياق توصل المقال إلى أن ما يهدد العلاقة الزوجية رأسا هو تفكك هذا المحتوى القيمي للعلاقة الزوجية.

الكلمات المفتاحية: العلاقة الزوجية، القيم الإسلامية، المودة، الرحمة، الأسرة المسلمة.

Abstract:

The article concluded that the basis of Islamic marriage is not the two parties to the marital relationship, namely the husband and wife, but rather the content of the marital relationship, and therefore the continuation of the marital relationship depends on the continuity of the value content of the spouses about the marital relationship that binds them and not to them personally. In the same context, the article concludes that what directly threatens the marital relationship is the disintegration of this value content of the marital relationship.

Keywords: marital relationship, Islamic values; affection; mercy; Muslim family.

مقدمة:

تعد الأ سرة مؤ سـ سة جوهرية من مؤ سـ سات المجتمع، غير أن هذا النمط الأسري التقليدي المثالي في أزمة؛ فارتفاع معدلات الطلاق، وأشكال الأسر ذات المعيل الوحيد، والأفراد الذين يعي شون بمفردهم، وتراجع الـ سياق التقليدي أين ينـ شأ الأطفال في أ سرة تـ ضم والدين متزوجين، وأبناؤهما من صلبهما؛ وحيث يـ ضطلع الأب بدور العائل وتـ ضطلع الوالدة بدور ربة البيت. ومن الحلول المقترحة لتجاوز هذه الأزمة رجوع القد سية للزواج (جيدنز، 2010، الـ صفحات 128-129).

وقد يلتبس مفهوم الأسرة المسلمة التقليدية والمثالية، بالمعنى الذي تحيل إليه الأسرة كوحدة اقتصادية وقرابية، أو بمعنى الروابط الزواجية ذات الطابع الفردي، أو بمعاني بغياب الحب والميول العاطفية التي هي أساس الزواج، أو بالمعنى الذي يشير إلى اللامساواة بين الزوجين وملكية الأزاوج للزوجات، أو بمعنى ازدواجية المعايير الجنسية – الطهر والعفة للزوجة والحرية الجنسية للزوج- أو من قبيل أن إنجاب الأطفال هو السبب الرئيسي في وجود الأسرة...، وغيرها من

المعاني. بل إن الأسرة المسلمة تقليدية ومثالية لأنها تنتمي لحقبة زمنية قديمة في تاريخ الأسرة، ولكن بخلاف المعاني السابقة؛ فالروابط الزواجية اكتسبت الطابع الفردي كما هي الآن، ويعد الحب والميول العاطفية اساس الزواج، وعلى اساس المساواة بين الزوجين ولا يملك الازواج زوجاتهم مثل باقي المتملكات، وتنهض على وحدانية المعايير الجنسية (العفة والطهر لكلا الزوجين، ونقاء الابوة والامومة)، وبمعاني ديمقراطية كذلك -كما اصطلح عليها (انطوني جيدنز)- التي تتضمن المساواة والاحترام المتبادل والاستقلال الذاتي، واتخاذ القرار عبر الاتصال والبعد عن العنف. والامتثال لسلطة الأب عن طريق التفاوض (جيدنز ا.، 2010، الصفحات 129-130).

والزواج أحد أهم القرارات التي تشغل بال الشباب وأسرهم في كافة المجتمعات الإنسانية، كونه وسيلة لتحقيق الاشباعات الغريزية والنفسية والاجتماعية، وهو الخطوة الأولى لبناء الأسرة وإنتاج النسل، ومن خلاله ينتقل الإنسان من وحدانيته إلى حياة ثنائية –على الأقل- ملؤها التعاون والتشارك والالتزام بالحقوق والواجبات مع زوج في حياة جديدة. وأساس التدريب العاطفي الرئيسي للذكور الآبقين، فهو الذي يربطهم بواجباتهم ومسؤولياتهم التي لولا الزواج لتخلو عنها؛ فالحرمان من الأب أشد الاتجاهات الديموغرافية ضررا، وهو العامل المحرك لمعظم المشاكل الاجتماعية الملحة؛ التي يلخص مصطلح الجريمة أشكالها (جيدنز ا.، الطريق الثالث: تجديد الديمقراطية الاجتماعية، 2010، صفحة 129).

كما يعتبر الأزواج شريحة مهمة في المجتمع تتطلب المزيد من الاهتمام بالدراسات والبحوث، خاصة في مجتمعنا العربي المعاصر، ومن جهة أخرى تعتبر كذلك العلاقة الزوجية من أهم العلاقات الاجتماعية، ومن العلاقات المركزية في بناء الأسرة العربية خاصة. ويعتبر الدين بما يحمله من قيم متدخل مباشر في توجيه الحياة الزوجية؛ لما يحدده من مواصفات الحياة الزوجية السعيدة، والجيدة والمتجانسة والصحية وغيرها من المفاهيم التي تعبر عن الحياة الزوجية الصحيحة. التي يُلجأ إليها حال البحث عن شريك الحياة.

قال تعالى:"{ومَنِ آيَاتِهِ أَن خلَق لَكُم منِ أَنفُسكِم أَزْوَاجًا لتِسكُنوُا إِليهْاَ وجَعَلَ بيَنْكَم موَدّةً ورَحَمْةَ إنّ فِي ذَلكِ لَآيَات لقِومْ يتَفَكَّروُن" (الروم-21). وقال تعالى: "ويا آدم ا سكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين" (الأعراف. الأية19). "وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا" (الن ساء: 21). الزواج وجد في ال سماء قبل الأرض، وهو عادة اجتماعية دينية اذ سانية لم تتخل عنها الب شرية منذ وجودهم، رغم ما يمكن أن ت شكل من مخاطرة، فهي حاجة من حاجات الج سم الأ سا سية لإ شباع الغريزة الجن سية بالطريقة ال صحيحة؛ ولحفظ النوع الب شري أي ضا، وطاعة من الطاعات التي يتقرب بها الم سلم لربه، فالمق صد الأول من مقا صد الزواج هو إكثار الن سل، والمق صد الثاني هو حفظ الفرج بالم صطلح الفقهي الإ سلامي، أو الإ شباع الجن سي بالم صطلح العلمي الب شري، وهو الميثاق الغليظ، وهو الإف ضاء وا ستحلال للفرج، وأ صل الزواج في الإ سلام الإدامة؛ لذلك لم ت صح عقود النكاح التي تقوم على المتعة والم سيار وال شغار والمحلل..وغير ذلك. دلالة على قدسية ومكانة الزواج وفق المنظور الإسلامي.

يتكون الزواج من ثلاث عنا صر أ سا سية هي الزوج والزوجة والعلاقة الزوجية؛ ولكل عن صر من هذه العنا صر أهميته الخا صة في البنية الزواجية، وما يهمنا في هذه الموضوع ليسا طرفي العلاقة الزوجية وهما الزوج والزوجة

وإنما العلاقة التي تربط بينما، وب صورة أكثر تحديدا ت صور الزوجين لعلاقتهما الزوجية وأهميتها بالن سبة إلى بع ضهما البعض، والقيم التي ت شكل مضمون علاقتهما الزوجية، التي يؤمن بها كلا الزوجين في علاقتهما الزوجية.

لا يمكن تجاهل نوع المعايير ال سلوكية التي تقوم عليها العلاقة الزوجية المعا صرة، التي جعلت من القيم المادية معيارا لتقييم الأزواج لعلاقتهما الزوجية، وتحول الأزواج إلى أشياء، فقد أصبحت العلاقات الزوجية ليست مبنية قيم المودة والرحمة بل قدرة الزوجين على تحقيق الربح المادي. وهو ما خلق اختلال واعتلال العلاقات الزوجية التي ت ضفي في الغالب إلى الانف صال. وقد ا ستهدفت هذه المداخلة بيان أهمية العلاقة الزوجية المبنية على منظومة قيم أ سا سها المودة

والرحمة. فأعظم مقا صد النكاح وفق شرع الله أن تـ سود المودة والرحمة بين الزوجين، وعلى هذا الأساس ينبغي أن تبنى الحياة الزوجية.

وإحسان العشرة من الزوج، ليس خاصا بكفاية الزوجة من الطعام والشراب و صنوف الزينة، كما أنه من الزوجة ليس خا صا كذلك بإجابتها الزوج إذا دعاها، ولا أن تهيء له طعام الغداء والعشاء فقط. وإنما هو معنى ينبعث من قلب أحدهما إلى قلب شريكه، مدفوعا بروح المحبة والمودة، وروح الإيمان بالمهمة المـ شتركة بينهما والملقاة على عاتقهما في تذليل سبل الحياة، وتربية الأبناء، وتدبير المنزل، بما يضفي على الجميع متعة المادة والروح.

ويمكن أن تطرح بعض التساؤلات كمايلي:

- كيف يمكن أن تـ سهم قيم المودة والر حمة في ا لمحافـ ظة على البيـ نة الزواجية الإسلامية؟.

- هل تلا شت فكرة أن الزواج رباط مقدس قائم على المودة والرحمة، أم مازالت قائمة؟.

2.المقاربة النظرية المؤطرة للعلاقة الزوجية:

تعد نظرية التبادل الاجتماعي في وقتنا الحالي من ابرز الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، حيث يمكن ا ستخدام تـ صورات هذه النظرية لتفـ سير مختلف الظواهر الاجتماعية، والتي تقارب مفهوم العلاقة الزوجية، وتقوم نظرية التبادل الاجتماعي على فر ضية أ سا سية مفادها: أن الأفراد في التبادل الاجتماعي يحاولون تعظيم المكـ افآت وتقليل التكاليف للحـ صول على أكثر النتائج ربحية، وأن السلوك الاجتماعي كنتيجة لعملية التبادل التفاعلي، الذي يساعد على تقييم الفوائد والتكاليف للعلا قات الاجتماعية؛ فعند ما تفوق تـ كاليف العلا قة الفوائد، من المحتمل أن يتخلى الناس عن هذه العلا قة، وتؤكد ذات النظرية أن الناس يميلون إلى حساب ما إذا كانت العلاقة جديرة بالاهتمام أم لا (خالد، 2022، صفحة 231).

يعد جورج كا سبر هومانز من أهم المنظرين في نظرية التبادل الاجتماعي، وأهم أعماله توضيح عناصر السلوك الاجتماعي التي تشتمل على "النشاطات أي الحركات والأفعال التي يقوم بها الأفراد، والتفاعل أي الأنـ شطة المتبادلة بين

الناس نتيجة الدافعية، والعواطف أي الحالة الداخلية لجسم الفاعل ويمكن الاستدلال على العواطف من خلال نفحات الصوت أو تعبيرات الوجه أو حركات الجسم". وإن عملية التبادل هي عملية مواءمة وتوافق ومشاركة في القيم والمعاني، والناس وفقاً لهذه النظرية ينبغي أن يأخذوا ما يمكنهم من الآخرين الحصول عليه من إطار علاقة معينة من خلال إعطاء هؤلاء الآخرين ما يطلبونه، وهم قادرون على مكافآت وعقاب بعضهم البعض، وحتى يحققوا التكيف فإنهم يجدون أنفسهم في مواقف تبادلية.

وتتضمن نظرية التبادل الاجتماعي بعض القضايا أو الافتراضات الأساسية حول طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع وكيفية أدائه لوظائفه. ومن حيث طبيعة الإنسان ترى هذه النظرية أن الإنسان يتصرف بشكل منطقي وعقلاني، فكل إنسان يضع أمامه مجموعة من الأهداف ويحدد لنفسه أكثر الوسائل كفاءة لبلوغ هذه الأهداف، ويضع الإنسان غيره من أعضاء المجتمع في اعتباره أثناء سعيه لتحقيق أهدافه، حيث أن هؤلاء الأعضاء يؤثرون أو حتى يتحكمون في عملية سعي الإنسان لتحقيق أهدافه. وهذا الموقف هو الذي ينتج العلاقة الأساسية للتبادل، ويصبح السلوك بهذا المعنى سلوكا اجتماعيا، كما يتخذ السلوك شكل التبادل، حيث أن الأشخاص الآخرين الموجودين في الوسط الاجتماعي يملكون المصادر أو الموارد المختلفة ومن ثم فإننا نتبادل القيود بالسلع والعمل بالنقود ، كما نتبادل المشاعر والعواطف ويجد الناس أنفسهم دائما في مواقف اجتماعية تبادلية، حيث يتبادلون السلوك والخدمات ويتبادلون الدعم العاطفي والانفعالي.

وتقوم نظرية التبادل الاجتماعي على أساس أن الأفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض نظرا لأنهم يحصلون عن طريق هذا التفاعل على بعض المكافآت الاجتماعية فالأفراد يستمرون في علاقاتهم الاجتماعية طالما أن هذه العلاقات تحقق لهم بعض الفائدة التي تفوق التكلفة التي تترتب عليها .

وتشير التكلفة إلى بعض الاعتبارات أو العوامل السلبية مثل التعب أو القلق أو كل ما نحاول تجنبه، كما تشير المكافآت إلى أي شيء نتحمل التكلفة من اجل الحصول عليه ، أما الأرباح فهي ناتج طرح التكاليف من المكافآت / وفي الواقع نحن لا نتبادل النقود والأشياء المادية فقط بل نتبادل أيضا الخدمات

الاجتماعية والعواطف والأمن والنفوذ والمعلومات (خالد، التوجيهات النظرية المفسرة للاختيار للزواج: دراسة تحليلية، 2022، صفحة 232) .

3.القيم الاسلامية: في كتاب القيم السلوكية لمحمود عطا حسين عقل، شمل جملة من التعريفات حول مضمون القيم الإسلامية، نذكر منها (عقل، 2006، صفحة 68):

-"المعتقدات والأحكام التي مصدرها القرآن والسنة، يتمثلها ويلتزم بها الإنسان المسلم، ومن ثم يتحدد في ضوئها علاقته بربه واتجاهه نحو حياته الآخرة، كما يتحدد موقفه من بيئته الإنسانية والمادية، وهي معايير يتقبلها ويلتزم بها المجتمع المسلم وأعضاؤه من الأفراد المسلمين، وهي تشكل وجدانهم وتوجه سلوكهم مدى الحياة".

-"مجموعة من المبادئ والقواعد والمثل التي نزل بها الوحي ويؤمن بها الإنسان، ويتحدد سلوكه في ضوئها، وتكون مرجع حكمه في كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وتصرفات، تربطه بالله تعالى والكون".

-"مجموعة من المبادئ والقواعد التي تعمل منطلقات وموجهات لسلوك الإنسان، ومرجعيات يتم من خلالها الحكم على الأفكار والأشخاص والأشياء والتصرفات، مستمد من كتاب الله وسنة رسوله، منها ما هو قطعي في دلالته ومنها ماهو ظني تختلف الأفهام حوله، ويمكن قياسها والتعرف عليها من خلال الأداء والسلوك".

4.مصدر القيم الإسلامية:

مصدر القيم الإسلامية هو الله، كما أوردها في كتابه العظيم، وإن التسليم بأن الله هو مصدر القيم يعني (زعيمي، 1997، صفحة 226):

-أن تتميز هذه القيم بالقداسة والهيبة، مما يجعل احترام هذه القيم أمرا نابعا من ذات الإنسان عن طاعة اختيارية لله، ونية صادقة لكسب رضاه.

-أن يصبح للإلتزام الأخلاقي وللمسؤولية معنى.

-أن يتوفر للقيم سند حقيقي.

-بقاء حرية اختيار القيم التي يرتضيها الإنسان قائمة.

-توفر شروط الاستقرار والثبات للمجتمع.

-بقاء وتجدد حافز العمل والإستقامة لدى الفرد والمجتمع التي يتمسك بها.

-توفر الميزان (المقياس) الثابت والعادل للحكم على الأشياء والأفعال.

5.خصائص القيم الإسلامية:

للقيم بصفة عامة مجموعة من الخصائص مستمدة أساسا من مفهومها، ولما كانت القيم الإسلامية مستمدة من الدين الإسلامي والعقيدة الاسلامية، فإن لها نفس خصائصه، ويمكن أن نتطرق إلى أهم هذه الخصائص فيمايلي:

أ.الثبات: القيم الإسلامية تسموا على التقديرات الفردية والجماعية، لما لها من مصدرية تعلو على الإنسان والمجتمع والعقل وقدراتهم، إنها ذات مصدر إلهي. هذا ما يجعلها ثابتة لا تتغير، فهي لا ترتبط بالأهواء الشخصية للأفراد والجماعات.

ب.الشمولية: القيم الإسلامية شاملة لجميع شؤون الحياة الإنسانية، وتنظم جميع علاقات الإنسان، مع خالقه نفسه والوجود (بنمنصور، 2011، صفحة 60). ما يجعل القيم الإسلامية عبارة عن منظومة شاملة متكاملة مترابطة يستدعي بعضها البعض.

ج.الاتساق: وهي أهم خاصية تتميز بها القيم الإسلامية عن غيرها من القيم غير الإسلامية، فلا يمكن أن يتمسك الفرد المسلم أو المجتمع المسلم ببعض القيم الإسلامية ويترك بعضها الآخر، فلا يوجد فصل بين القيم في منظومة القيم الإسلامية، كما هو قائم في المجتمعات العلمانية التي تفصل بين القيم الدينية والقيم السياسية مثلا. فالقيم الإسلامية متساندة ومتماسكة وملزمة لبعضها البعض. فهي ليست متفرقة يأخذ منها الإنسان على سبيل الانتقاء ما شاء ومتى شاء، وإنما تؤلف في مجموعها خلق المسلم وتحكم سلوكه.

د. الجمع بين النسبية والمطلقية: وهذه الخاصية خلص إليها الربيع ميموني في دراسته لنظرية القيمة في قوله: "أن اعتبار القيمة مطلقة نسبية يبعد عنها النسبية الخالصة التي تجعلها تابعة لغيرها، ولا سلطان لها، كما يبعد عنها المطلقية المطلقة التي لا يمكن أن تكون صفة لها. ويضعها في مكانها الصحيح الذي يسمح بتقديرها حق قدرها، ويجعل منها دليلا لنا تهتدي به على بينه من الأمر،

ومرقاة إلى من بيده الأمر كله". (زعيمي، النظرية العلم-اجتماعية: رؤية اسلامية، 1997، صفحة 226).

6.أهمية القيم الإسلامية:

يقول الكاتب الإنجليزي جود: "إن الحضارة الحديثة ليس فيها توازن بين القوة والأخلاق، فالأخلاق متأخِّرَة جدًّا عن العلم، فقد منحتنا العلوم الطبيعية قوّة هائلة، ولكننا نستخدمها بعقل الأطفال والوحوش ...فالانحطاط هو خطأ الإنسان في فهم حقيقة مكانته في الكون، وفي إنكاره عالم القيم، الذي يشمل قيم الخير والحقِّ والجمال". (السرحاني، القيم والاخلاق في الحضارة الاسلامية، 2010، صفحة 1)

وتقول ألكسيس كارليل: "في المدينةِ العصرية قَلَّمَا نشاهد أفرادًا يتبعون مَثَلاً أخلاقيًّا، مع أن جمال الأخلاق يفوق العلم والفنّ من حيث أنه أساس الحضارة". (السرحاني، القيم والاخلاق في الحضارة الاسلامية، صفحة 1)

والحقيقة أيضًا أن هذا الجانب- جانب الأخلاق والقيم -لم يُوَفّ حقُّه إلا في حضارة المسلمين، تلك التي قامت في الأساس على القيم والأخلاق، تلك الأخلاق والقيم التي لم تكن يومًا نتاج تطور فكري على مرِّ العصور، وإنما كانت وحيًا أوحاه الله عز وجل وشرّعه رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، فكان مصدرها التشريع الإسلامي منذ خمسة عشر قرنًا من الزمان. فالإنسان الحق هو الذي تشكل القيم الروحية أفكاره، وعواطفه وسلوكه. (ميمون، 1980، صفحة 54)

وعن أهمية القيم الإسلامية على المستوى الإجتماعي فإنها تحقق للمجتمع عدة وظائف، منها (ملوح، 1998، صفحة 86):

-تحفظ للمجتمع تماسكه، من منطلق أنها تحدد للمجتمع مبادئه ومثله العليا. والعلاقة الزوجية هي تلك الجزئية المهمة في بنيان المجتمع.

-توحد ثقافة المجتمع، أي أنها مصدر تناسق ثقافة المجتمع وأفراده. والثقافة المؤطرة للعلاقة الزوجية التي هي جزء من الثقافة المجتمعية تتحدد وفقا لذلك.

-تقي المجتمع من الآفات الاجتماعية والأخلاقية. كالطلاق والانفصال الزواجي؛ وتفكك العلاقة الزواجية.

-تحدد شخصية وهوية المجتمع. وبالتالي شخصية وهوية الزوجين في العلاقة الزواجية.

7.قيم المودة والرحمة:

قال الحافظ ابن كثير: " المودة هي: المحبة، والرحمة هي: الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد ".

جعَل اللّه المودّة والرحمة بين الزوجين من أ سباب دوام العـ شرة بينهما، والحفاظ على قوة الأ سرة وتما سكها، وقادرة على التخلص من كل الأفكار التي من شأنها أن تقـ ضي على ا ستقرارها وتهدد بقائها، ومن صور المودّة والرحمة ليس فقط كف الأذى عن الزوجة، بل احتمال الأذى منها، والحلم عليها، وهو تفاعل اجتماعي بين الزوجين، يصدر عن عملية اجتماعية أ سا سية في المجتمع المسلم، وهي التدافع.

قول السّدّي: "المودّة: المحبّة، والرحمة: الشفقة". ومن أقرب ما وقفت عليه أقوال المفسّرين السابقين والمعا صرين من ذلك : قول الإمام الرازيّ: قال بعضهم: محبّة حالة حاجة نفسه، ورحمة حالة حاجة صاحبه إليه، وهذا لأن الإنسان يحب مثلا ولده، فإذا رأى عدوه في شدة من جوع وألم قد يأخذ من ولده، ويـ صلح به حال ذلك، وما ذلك لسبب المحبّة وإنما هو لسبب الرحمة (البيانوني، 2013).

والمودّة تكون أولاً، ثمّ إنّها تفـ ضي إلى الرحمة، ولهذا فإنّ الزوجة قد تخرج عن محلّ الشهوة بكبر أو مرض، ويبقى قيام الزوج بها، وجعل بينكم مودّة ومحبّة، وهي صلة روحية قويّة، تفوق في غالب الأحيان الصلة بأقرب الناس، ويبدوا هذا جيداً في تقدير الـ شرع للميراث والنفقات والمخالطة الداخليّة، والإ سرار إلى الزوجات بذات الصدور.

ويقول ابن عاشور: فإن المودّة وحدها آ صرة عظيمة وهي آ صرة الصداقة والأخوة وتفاريعهما: والرحمة وحدها آ صرة منها الأبوّة والبنوّة ، فما ظنّكم بآ صرة جمعت الأمرين ، وكانت بجعل اللّه تعالى ، وما هو بجعل اللّه فهو في أقـ صى درجات الإتقان (عاشور، صفحة 70).

فالإن سان الذي يجتمع مع المرأة في الحلال يدرك بو ضوح معنى الـ سكنى إليها والميل لها، والهدوء النف سيّ عندما يزورها، ومن هنا سُمّي المكان الذي يلتقي

فيه الرجل بالمرأة سكناً وم سكناً، لأنّ فيه ت سكن النفس وتهدأ، ويطمئنّ الزوج، ويستريح من مشاقّ الحياة.

وجعل بينكم رحمة و شفقة، وعطفاً عميقاً، ليس م صدره الغريزة الجن سيّة، والاتـ صال الماديّ، بل مبعثه اختلاط الأرواح، واتّـ صال النفوس، والاجتماع لغرض واحد وبناء عش الزوجيّة على أ سس كريمة، ودعائم قويمة: " هُنّ لِباسٌ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنّ " [البقرة 187].

كما قارب (الزحيلي في التف سير المنير) قول الله تعالى: «..وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدّةً وَرَحْمَةً..» وجعل بين الجن سين المودّة أي المحبّة، والرحمة أي الـ شفقة، ليتعاون الجن سان على أعباء الحياة، وتدوم الأ سرة على أقوى أ ساس وأتمّ نظام، ويتمّ الـ سكن والاطمئنان والراحة والهدوء، فإنّ الرجل يم سك المرأة ويتعلّق بها؛ إمّا لمحبّته لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك. (الزحيلي، صفحة 75)

وقال سيد قطب: "والناس يعرفون م شاعرم اتجاه الجنس الأخر، وت شغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين؛ وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك الم شاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة، ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنف سهم أزواجا، وأودعت نفو سهم هذه العواطف والم شاعر، وجعلت في تلك الـ صلة سكنا للنفس والعـ صب، وراحة للجسم والقلب، واستقرارا للحياة والمعاش، وأنسا للأرواح والضمائر، واطمئنانا للرجل والمرأة على الـ سواء. والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يـ صوّر هذه العلاقة تـ صويراً موحياً، وكأنّما يلتقط الـ صورة من أعماق القلب وأغوار الحسّ : « لِتَـ سْكُنُوا إِلَيْها » .. «..وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدّةً وَرَحْمَةً..» .. « إِنّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » .. فيدركون حكمة الخالق في خلق كلّ من الجن سين على نحو يجعله موافقاً للآخر، ملبياً لحاجته الفطريّة: نف سيّة وعقليّة وج سديّة، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والا ستقرار، ويجدان في اجتماعهما الـ سكن والاكتفاء، والمودّة والرحمة، لأنّ تركيبهما النف سيّ والعـ صبيّ والعـ ضويّ ملحوظ فيه تلبية رغبات كلّ منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثّل في جيل جديد. (قطب، 2003، صفحة 2763)

ولذلك حينما يحصل الفراق بين هذين الزوجين، إما بسفر، وأمور اقتضتها معايش الناس، أو بموت، أو نحو ذلك، فإن أثر هذا الفراق يكون شديداً على نفوس هؤلاء الأزواج، بأنه قد يصير بحال هي أشد من الموت أحياناً، يعني حينما يفارق لسفر، حينما يفارق لأمر قد اقتضته معايشه، فإن ذلك لربما كان الموت أسهل عليه من هذا الفراق، كما أن بذل المال أسهل عليه، ومفارقة الأوطان أسهل عليه من مفارقة شقه الآخر، لا سيما إذا كانت العلاقة في حال من الصفو، والمحبة بين هؤلاء الأزواج، أو كان بينهما أطفال يضيعون بالفراق، وتفسد حالهم، فكيف إذا كان ذلك لنزاع قد وقع بين القرابات ففرضوا عليهما الفراق مع ما بينهما من أولاد، ومحبة؟ فهذا في غاية الشدة في وقعه على النفوس.

ويقول الشعراوي: «ولو تأملنا هذه المراحل الثلاثة (يعني: السكن والمودّة والرحمة) لوجدنا السكن بين الزوجين، حيث يرتاح كُلٌّ منهما إلى الآخر، ويطمئن له ويسعد به، ويجد لديه حاجته، فإذا ما اهتزّتْ هذه الدرجة ونفرَ أحدهما من الآخر جاء دور المودّة والمحبّة التي تُمسِك بزمام الحياة الزوجية وتوفر لكليهما قَدْراً كافياً من القبول، فإذا ما ضعف أحدهما عن القيام بواجبه نحو الآخر جاء دور الرحمة، فيرحم كل منهما صاحبه، يرحم ضَعْفه، يرحم مرضه، وبذلك تستمر الحياة الزوجية، ولا تكون عُرْضة للتفكك والانفصال. فإذا ما استفدنا هذه المراحل، فلم يَعُدْ بينهما سَكَن ولا مودّة، ولا حتّى يرحم أحدهما صاحبه فقد استحالتْ بينهما العِشرة، وأصبح من الحكمة مفارقة أحدهما للآخر، وهنا شرع الحق سبحانه الطلاق ليكون حلاً لمثل هذه الحالات، ومع ذلك جعله ربّنا سبحانه أبغض الحلال، حتّى لا نقدم عليه إلاّ مُضطرّين مُجْبرين (الشعراوي، صفحة 12043). فالقرآن الكريم دقيق غاية الدقّة في تعبيره، إذ هو يفصل بين حاجة الرجل خاصّة، وبين أمرين مشتركين بين كلا الزوجين، فالسكن خصّه القرآن بالرجل، فقال تعالى: «لِتَسْكُنُوا إِلَيْها» وأمّا المَوَدّةُ وَالرّحْمَةُ فقد جعلهما أمراً مشتركاً بينهما، وذلك لحاجة كلّ منهما الفطريّة إلى ذلك، فقال تعالى: «..وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدّةً وَرَحْمَةً ..»، وملخّص مفهوم «المَوَدّةُ، الرّحْمَةُ» في العلاقة بين الزوجين، في النقاط التالية:

وأمّا «المَوَدّةُ، وَالرّحْمَةُ» فهما مشتركان بطبيعتهما بين الزوجين، فلا يتصوّر أن تقوم علاقة إذ سانيّة بهما، أو بأحدهما من طرف واحد، ففي حال الـ صحّة والـ شباب تتجلّى علاقة الحبّ والمودّة بين الزوجين، وفي حال الكبر والـ ضعف تتجلّى علاقة الرحمة، لأنّ ضعف الـ صحّة في الـ شيخوخة يجعل الإنسان بحاجة إلى رحمة الآخرين و شفقتهم، ومن هنا كانت الرحمة ضمانة مهمّة لحياة ينال فيها الإنسان الرعاية الكريمة من شريك حياته، وبالأخص من كان يصفو المودّة حال شبابه. وكلّما توطدت المودّة في حال الـ صحّة والـ شباب توثّقت عُرَى الرحمة في حال الكبر والـ ضعف، فالرحمة هي البوّابة العميقة للحبّ، أو هما وجهان لحقيقةٍ واحدة، تظهر ثمراتها في أوقات الشدّة، والضعف والحاجة.

ومن وجهة أخرى فإنّ المودّة هي الفضل، والرحمة هي العدل، المَوَدّةُ هي الحدّ الأعلى، وَالرّحْمَةُ هي الحدّ الأدنى، فإن لم يستطع الزوجان أو أحدهما أن ينعما «بالفضل» في العلاقة بينهما، فلا أقلّ من أن تقوم على «العَدلِ»، وهو الرحمة. (الكساسبة، 2021)

8.خاتمة:

وحيث تعقد الآمال على الأسرة لتوفير الاستقرار المجتمعي، يوفر الدين منظومة قيمية توجه القدرات التي يضفيها الأفراد على الزواج، والعلاقات الأسرية، فالقدرة على المحافظة على الرابطة الزواجية أمام التغيرات التي تفرضها الحياة الاجتماعية الحديثة، وحتى أمام التغيرات (البيانوني، 2013) لجذرية مثل الطلاق والانفصال، أصبحت قدرة محورية، لا في تحقيق السعادة للأفراد فحسب، وإنما كذلك لتحقيق الاستمرارية في العلاقة الزواجية. فالأسرة المتماسكة القوية بعلاقتها الزوجية المتينة، أو الأسرة المتكاملة اجتماعيا -على حد قول انطوني جيدنز- تشكل مصدرا للتماسك المجتمعي.

إن قيم المودة والرحمة كما وردت في القران الكريم، وكما اتفق اغلب المفسرون على معانيها الرفيعة، والتي فيما تعنيه شانها صلة روحية قوية تفوق أغلب الصلات التي تجمع الناس، وليست مصدرا للغريزة الجنسية أو أي اتصال مادي، فيتمسك الزوجان ببعضهما ويتعلقان ببعضهما محبة ورحمة، هذه الفطرة التي هي من جعل الله تتأجج حال فراق أحد طرفي العلاقة الزوجية.

ووفق تصور النظرية التبادلية المؤطرة لموضوع المقال، فإن العلاقة الزوجية هي مواقف تبادلية، ناتجة عن التفاعل والمشاركة في القيم والمعاني والتوافق في العواطف الداخلية؛ فهي علاقة جديرة بالاهتمام لكلا الزوجين، تفوق فوائدها التكاليف، ويحصلان فيها على أكثر النتائج ربحية.

قائمة المراجع:

-ابن عاشور، الطاهر. (بلا تاريخ). تفسير التحرير والتنوير. https://ketabonline.com/ar/books/104368/read?page=508&part=1

-بن منصور، اليمين. (2011). دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية. الجزائر: باتنة: جامعة باتنة.

- البيانوني، عبد المجيد. (2013). وجعل بينكم مودة ورحمة. https://almoslim.net/node/179347

-جيدنز، انطوني. (2010). الطريق الثالث: تجديد الديمقراطية الاجتماعية. (أحمد زايد ومحمد محي الدين، المترجمون) مصر-القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- زعيمي، مراد. (1997). النظرية العلم-اجتماعية: رؤية اسلامية. الجزائر: جامعة قسنطينة.

- الزحيلي، وهبة. (75). التفسير المنير. https://ketabonline.com/ar/books/2957/read?part=21&page=6337&index=4421939/4421949/4421951

-الكساسبة، احمد. (2021). معززات تحقيق المودة والرحمة في الاسرة https://aliftaa.jo/Article.aspx?ArticleId=3525#.Y-FX11zMLIU

- ميمون، الربيع. (1980). نظرية القيمة في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- محمد، صالح بن عبد الله ، ملوح، عبد الرحمان. (1998). موسوعة مظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم. *1 ، 1*. المملكة العربية السعودية: دار الوسيلة للنشر والتوزيع.

- عقل، محمود عطا حسين. (2006). القيم السلوكية. *2*. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.

- السرحاني، راغب. (2010). القيم والاخلاق في الحضارة الاسلامية. www.IslamStory.com

- قطب، سيد. (2003). في ظلال القرآن. *1 ، 2*. مصر: القاهرة: دار الشروق.

- الشعراوي، محمد متولي. (بلا تاريخ). تفسير الشعراوي. مصر : قطاع الثقافة والكتب والمكتبات.

- خالد،هند عبد الصمد. (يوليو, 2022). التوجيهات النظرية المفسرة للاختيار للزواج: دراسة تحليلية. *(77)* . مجلة بحوث الشرق الاوسط.